# الحجاج والمديح في شعر الشعراء المخضرمين

الباحثة/ أمل عماد أمين حسن

**ملخص:-**

هدفت هذه الدراسة إلى تناول الحديث عن التشكلات الحجاجية والمدحية في شعر الشعراء المخضرمين ، وذلك للكشف عن استراتيجيات الحجاج التي وظفها الشعراء المخضرمين من خلال قصائدهم المدحية ، ومن ثم كانت لظروف البيئة وتحكمات العصر أثرها الذي برز من خلال طبيعة الشعر عند الشعراء المخضرمين .

حيث اقتضت تلك الظروف أن يمحو الشعراء المخضرمين منح حجاجية مدحية يمكنه من إقناع المتلقي بصدق مدحه والتصديق علي الخصال المدحية سواء في مدح القبيلة أو الأقارب أو الملوك أو غير ذلك في العصر الجاهلي أو في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم والثناء عليه هو وأصحابه والشهداء والمجاهدين في سبيل الله والصالحين في شعر فترة صدر الإسلام عند الشعراء المخضرمين وفي هذا الغرض الشعري استعان الشعراء المخضرمين بتقنيات متعددة تحقق أهدافهم وغايتهم الشعرية.

**Summary:**

This study aimed to address the talk about the formations of argumentation and praise in the poetry of the veteran poets, in order to reveal the strategies of the pilgrims employed by the veteran poets through their laudatory poems, and then the conditions of the environment and the controls of the era had their impact, which emerged through the nature of poetry among the veteran poets.

As these circumstances required that the veteran poets erase praiseworthy argumentative grants that would enable him to convince the recipient of the sincerity of his praise and attest to the praiseworthy qualities, whether in praising the tribe, relatives, kings or otherwise in the pre-Islamic era or in praising the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, and praise him and his companions, martyrs and fighters The Way of God and the Righteous in the Poetry of the Early Islamic Period of PoetsIn this poetic purpose, the veteran poets used various techniques to achieve their poetic goals and objectives.

**المقدمة:**

ظهر المديح في كثير من أشعار العرب، وذلك من خلال امتداح الشعراء للكثير من الملوك والشخصيات والقبائل وتفصيل بعضها على بعض وغيرها، وذلك بما يميزهم من قيم رفيعة وأخلاق سامية، ليرفعوا قيمة وقامة الممدوح بين الناس لذا يقوم الشاعر بعرض الجانب الإيجابي من الشخصية ويخفي عيوبها.

لذا كان من المدح من الفنون القديمة التي عرفها الشعر، لأن المدح مرتبط بالطبع فهو غريزة إنسانية تتغلغل في نفس الإنسان، لذلك نرى أن معاني كلمة المدح تدور في معظم المعاجم العربية القديمة حول دلالات الثناء والإطراء وذي المحامد والصفات الحسنة(١).

وهو أيضًا إعجاب الشاعر بالخلق الحميد والرأي السديد والشجاعة الفائقة والكرم الواسع، لذلك أثنى على الرجال المتفوقين والشجعان المشهورين والقادة العظماء والرؤساء المسودين وامتداح المُثل العليا التي رآها عندهم(٢)، فهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدًا(٣) والثناء الحسن، وقد مدحه وامتدحه بمعنى واحد، وكذلك المدحة والمديح، والأمدوحة(٤).

والمدح هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفيسة كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعدد محاسن الخليقة وشاع المدح عنده وابتذال الشعر واتخذه الشعراء وهنه ومن أوائل مداحيهم زهير والنابغة والأعشى(٥).

**المدح لغة:**

جذر الفعل (م. د. ح) يدل على وصف المحاسن بكلام جميل ومدحه يمدحه مدحًا أحسن عليه الثناء(٦)، فالمدح هو الثناء الحسن وقد مدحه وامتدحه بمعنى واحد

(١) التشكيلات الحجاجية في شعر الراعي النميري، إعداد: عبد العزيز مطلق نصار الشريعان، إشراف: أ.د/ عصام خلف كامل، أ.د/ حسن إسماعيل عبد الغني، ص١٤٥، جامعة المنيا، رسالة دكتوراه، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

(٢) المديح، سامح الدهان، ط٥، ص١٤، دار المعارف، القاهرة.

(٣) التعريفات، على الجرجاني، د.ت، ص٢١٩، طباعة حجرية.

(٤) الصحاح تاج اللغة: أبو بكر العزاوي- ط١، ج١، ص٤٠٣، العمدة في الطبع، المغرب ٢٠٠٦م، نقلاً عن التشكلات الحجاجية في شعر الراعي النميري- عبد العزيز مطلق نصار الشريعان.

(٥) جواهر الأدب- أحمد الهاشمي- ط٥- ص٣٤٣- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٩٩٦م.

(٦) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد المنعم محمد هارون، ج٥، ص٣٨، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

وكذلك المدحة والمديح، والأمدوحة[١]، والمدح أيضًا هو اثنى عليه بما فيه من الصفات الجميلة[٢] وهو نقيض الهجاء وهو حسن الثناء[٣].

فالمدح إذا كان بمعنى عد المأثر والمناقب فيقابله الهجو بينما إذا كان المدح بمعنى الوصف الجميل يقابله الذم والمدح زيادة على الرضى وقد يرضى المرء من الشيء وأن لم يمدحه[٤].

وامتدح خصاله وشمائله ورسالته، وتعدد صفاته والإشادة بالدين والإسلام، لذا وجد أنواع متعددة ومختلفة من المديح وذلك على حب أغراضه فمنه من هو مدح ديني وأخر مدح سياسي وغيرها من الأنواع التي تترتب الحجج على أساسها، فتبرز الصورة الفنية من خلال الأبيات، وعلى حسب نوعها تختلف عباراتها وأساليبها وذلك من شأن إعلاء شأن الممدوح وتعدد خصاله، وقد برز المدح في شعر الشاعر حسان بن ثابت سواء في الجاهلية أو في الإسلام ويتضح ذلك في قوله:

**إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا**

**التالي المحمود مشهدة وأول الناس طرأ صدق الرسلا**

**والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذا صعد الجبلا**

**وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا**

**خير البرية أتقاها وأرافها بعد النبي وأوفاها بما حملا**

**عاش حميد الأمر الله متبعًا بهدى صاحبه الماضي وما انتقلا[٥]**

فالشاعر في الأبيات السابقة يمدح سيدنا أبا بكر –رضي الله عنه– ويثنى عليه، فقد جسد الشاعر مكانة ومنزلة سيدنا أبي بكر –رضي الله عنه– ووصف مدى مصداقيته، فهو مثلًا للشجاعة، وقدوة يقتدى بها؛ فهو حمدة الله بعد سيدنا محمد –صلى

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجواهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١، ص٤٠٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن على الفيومي ثم الحموي، ج٢، ص٥٦٦، المكتبة العلمية، بيروت.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ط٣، ج١، ص٥٨٩، دار صادر– بيروت، ١٤١٤هـ.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكوري، أبو البقاء الحنفي، تحقيق عدنان د/ درويش، محمد المصري، ص٨٥٧، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٥) حسان بن ثابت الأنصاري، محمد إبراهيم سليم– ط٢– ص٥٢: ٥٣.

الله عليه وسلم–، فهو صدق الرسول –صلى الله عليه وسلم– وآمن برسالته، وهو من رافقه في الغار، وكان عادلًا من بعد صاحبه، فبرزت صفاته وتعددت، من شجاعة وقوة وعدل ووفاء، وكان أيضًا حامدًا لله في كل شيء ومستهد بسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، فهنا الشاعر أثنى على سيدنا أبي بكر، ومجد صفاته؛ ليوضح لنا مدى مصداقيته.

نجد الشاعر حسان بن ثابت هنا يحتج لسيدنا أبا بكر على تميزه عن غيره من البشر وأهله وغيره فسيدنا أبي بكر هو من أمن بالله ورافق رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو حالة خاصة من قبيلته، حيث إلى مكانة لم يصل إليها أحدًا، فهو حالة خاصة به صفاتلم يختص غيره، فهو أفضل البشرية وثاني محمودًا على الأرض بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه حجة مؤسسة لبنية الواقع، حيث عمد الشاعر حسان بن ثابت إلى حالة خاصة ومميزة ليجعله قدوة يقتدي بها، ليسير الناس مع شاكلته ونهجه ولتصبح أعداد متعددة نموذجًا منه، وأيضًا في قوله:

**وأحسن منك لم ترَ قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء**

**خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء**[1]

تحيلنا الأبيات السابقة إلى عدد من الحجج التي تبرهن على كمال النبي صلى الله عليه وسلم، فيشير الشاعر بأنه أحسن الناس وأجملهم وأكملهم، فهو لا يصيبه أي عيب ولا يبلغه نقد، فهو مثلاً للكمال والخلق المصفى: لذلك نجد أن الشاعر يصل إلى ذروة المديح وهذا مشهورًا عند العرب القدماء، فهذا نوع أيضًا من المديح وهو المديح الديني وذلك لما يختص به من مديح النبي صلى الله عليه وسلم أو الله عز وجل أو الديانة الجديدة وهي الدين الإسلامي وبذلك يكون الشاعر قد اختار الصورة المثالية للنبي صلى الله عليه وسلم سواء في خُلقهِ أو خَلقهِ.

والشاعر أيضًا دعم حجته بالعديد من الحجج التي تبرهن على صدق كلامه، فهنا الشاعر يشير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال نافيًا عنه أي نقص، فهو مثاليًا خُلقًا وخَلقًا، وهذه إشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً وما غيره به تقص، وهذا هي من الحجج التي تستدعي المشترك وهي من الحجج المؤسسة لبنية

(١) المرجع نفسه– ص٢٠.

الواقع فهو حجج لا تعتمد على المنطق، وإنما يتأسس على التجربة وعلى علاقات حاضرة من الأشياء المكونة للعالم، فالحجاج هنا ما عاد افتراضيًا وتضمينًا بل أصبح تفسيرًا وتوضيحًا، تفسيرًا للأحداث والوقائع وتوضيحًا للعلاقات الرابطة من عناصر الواقع وأشيائه[١]، وأيضًا في قوله:

**وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد**

**تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلهًا أنت أعلى وأمجد**

**لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهدي وإياك نعبد**[٢]

ففي الأبيات السابقة نلاحظ أن الشاعر "حسان بن ثابت" اتخذ من الألفاظ ما يناسب مدحه، فهنا الشاعر يمدح الله عز وجل ويمجده لذلك دعاء لله خالقه ويشهد بفضله، وأن الله عز وجل لا خالق سواه، فهنا الشاعر استخدم الحجج التي ترتبت على استراتيجية سليمة ليصدق على قوله ومبادئه وأيضًا ليقنع المتلقي ويؤثر عليه ويصل به إلى ما يريد.

فهنا الشاعر يحتج لله عز وجل ومكانته فيستخدم الحجة الغائية ليصل إلى غايته، فهنا الشاعر يحتج ليصل إلى غاية محددة، وهي الحط من شأن أي ديانة وتقديس الله وعبادته والإعلاء والإجلال من شأن الله عز وجل وتمجيده، فهنا غاية الشاعر إقناع المتلقي والتأثير بكافة السبل، فأبدع الشاعر في إظهار نعم الله وشأنه وتعاليه، وأنه من يهدي وسيهتدى به وإليه نعبد، فهنا تظهر أبعاد الشاعر الحجاجية، لذلك فهنا حجاجية الشاعر مؤسسة على بنية الواقع.

وظهر أيضًا المديح في شعر كعب بن زهير وذلك في قوله:

**إنَّ عَلِيّاً لَمَيمونٌ نَقيبَتُهُ بِالصالِحاتِ مِنَ الأَفعالِ مَشهورُ**

**صِهرُ النَبِيِّ وَخَيرُ الناسِ مُفتَخَراً فَكُلُّ مَن رامَهُ بِالفَخرِ مَفخورُ**

**صَلّى الطَهورُ مَعَ الأُمِيِّ أَوَّلَهُم قَبلَ المَعادَ وَرَبُّ الناسِ مَكفورُ**

(١) الحجاج في الشعر العربي– سامية الدريدي– ص٢١٤.

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري– محمد إبراهيم سليم– ص٢١: ٢٢.

مُقــاوِمٌ لِطُغــاةِ الــشِركِ يَــضرِبُهُم حَتّى اِستَقاموا وَديــنُ اللَــهِ مَنــصورُ

بِالعَــدلِ قُمــتَ أَمينــاً حــينَ خالَفَــهُ أَهلُ الهــوَى وَذَووُ الأَهــواءِ وَالــزورِ

يا خَيرَ مَــن حَمَلــت نَعــلاً لَــهُ قَــدَمٌ بَعــدَ النَبِــيِّ لَديــهِ البَغــيُ مَهجــورُ

أَعطــاكَ رَبُّــكَ فَــضلاً لا زَوالَ لَــهُ مِن أَيــنَ أَنّــى لَــهُ الأَيــامَ تَغييــرُ[1]

يعتمد الشاعر في الأبيات السابقة على السلم الحجاجي والاستراتيجية المألوفة التي تتدرج من المقدمة ثم الموضوع وصولاً بالنتيجة، ولذلك يقدم العديد من الأدلة والبراهين التي تبرهن وتدلل على النتيجة وتعمل على رسوخ الصورة الفنية التي رسمها الشاعر.

لذلك نرى أن الشاعر جاء بصورة فنية منطقية لإقناع واقتناع المتلقي بما يريد، لذلك نرى أن كلمات الشاعر وألفاظه جاءت مادحة سيدنا علي رضي الله عنه، وتمجيده لأنه من الصالحين وكل أفعاله محمودة، وصهر النبي، ومقاوم أعداء الله وناصر دين الله، وأيضًا صفاته محمودة فمبادئه العدل ويقينه الأمانة، لذلك كانت كل الدلائل تدعم نتيجة الشاعر وهي مدح سيدنا علي رضي الله عنه، والافتخار به وبمن يفخر به أيضًا، لذلك نجد تدفق الحجج وترابطها وربط كل حجة بما يليها لذلك كانت الحجج مدعمة للنتيجة.

نجد هنا أن الشاعر يحتج لسيدنا علي رضي الله عنه لتميزه بأنه من الصالحين ولشهرته بالأفعال المحمودة، فبذلك يوضح الشاعر أن سيدنا علي رضي الله عنه من الحالات الخاصة التي تتميز عن غيرها لذا يصبح صاحبها مثلاً وقدوة لمن يقتدى، فلقد كرمه الله بحمده ورسوله بمصاهرته، فهي الحجج التي تأسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة لأنها حجج مؤسسة لبنية الواقع لأنها تكملة وتظهر ما خفى من علامات من أشيائه أو تجلى ما لم يتوقع من هذه العلاقات، وما لم ينتظر من صلات من عناصره ومكوناته[2]، وذلك لأن الحجج القائمة على الوصل تربط من أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وجعلها مقبولة ومسلمًا بها، ولذلك يجعل الأحكام المسلم بها

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى، محمد إبراهيم سليم، ط٢، ص٧٥.

(٢) الحجاج في الشعر العربي- سمية الدريدي- ص٢٤٢.

والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينهما بحيث لا يمكن تسليم بأحدها دون أن يسلم بالأخر(١).

وأيضًا دعم الشاعر مدحه لسيدنا علي رضي الله عنه بمجموعة من الصور التي ترتبت على هيئة حجج، فهنا الشاعر استخدم الحجة السببية التي من خلالها يثبت صدق كلامه فهنا سيدنا علي يقاوم ويضرب طغاة الشرك لكي يستقيموا ويدخلوا الإسلام وهي النتيجة، فهي من الحجج المؤسسة على بنية الواقع وهي لا تصف الواقع وصفًا موضوعيًا، وإنما هي طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع، ويتحكم في الربط بين هذه الآراء(٢)، وأيضًا هي تفسر الأحداث وتوضح العلاقات التي تربط من عناصر الواقع(٣).

ومما سبق ذكره نجد أن الشاعر استخدم العديد من الحجج لكي يبرز الصورة الفنية التي تخدم نتيجته وتدعمها، لذا فأن هذه الحجج توضح أثر الإسلام وتمجيد سيدنا علي رضي الله عنه ومدحه، ويتضح المديح النبوي في قوله:

**إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ**

**فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا**

**زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ**

**شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ(٤)**

في الأبيات السابقة لقد امتدح الشاعر حسان بن ثابت الرسول صلى الله عليه وسلم لذا فإنه يشبهه بالسيف المطبوع وهو من أفضل السيوف، فهو هداية للناس أرسله الله إليهم ليكم بينهم ويوجههم، وأيضًا ليتصدى للمشركين ليقضي على الفوضى والشرك، لذلك استخدمت في مدحه الاساليب الضخمة والألفاظ الواضحة المعبرة، لأن الله عز وجل جعله سيدًا على الأرض له قيمة وقامة ومرشدًا وموجهًا ومهابًا، فهو

(١) في نظرية الحجاج– دراسة تطبيقية– عبدالله صولة– ط١– ص٨٢– مسكيلياني للنشر– ٢٠١١م.

(٢) الحجاج في كتاب عيون المناظرات لأبي علي عمر السكوني– إعداد عبدالقادر شطيبة– ص٥٧– رسالة ماجستير– كلية الآداب واللغات– جامعة قاصدي مرباح ورقلة– الجمهورية الجزائرية– ٢٠١٥– ٢٠١٦م.

(٣) انظر في حجاج النص الشعري– محمد عبد الباسط– ص١٦ بتصرف– أفريقيا الشرق– المغرب– ٢٠١٣م.

(٤) المرجع السابق– ص٥١.

يحمل رسالة الأرض على الأرض ويتحلى بالعديد من الصفات الحميدة التي تميز بها دون عن غيره من البشر.

فالشاعر هنا يؤسس لبنية الواقع وذلك عن طريق اختيار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحث على الهداية به والسير على نهجه، فهنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حالة متميزة فمن خلالها يؤسس الشاعر الواقع بواسطة الحالات الخاصة، فهنا الشاعر يأتي بالحجة وهي أن الرسول نور يستضئ به ليصل إلى النتيجة وهو أنه يهتدى به إلى الحق.

ولقد ورد أيضًا المدح عن الحطيئة بصور متعددة ومختلفة، فهنا نجد أن الشاعر الحطيئة امتدح "آل شماسل بن لأي" بالعديد من الصور التي احتج لها وقدم عليها الأدلة والبراهين التي استدل الشاعر عليها في أبياته ليؤكد صدق قوله وأحقيته ونجد ذلك عند الحطيئة حينما قال:

**أَلا طَرَقَتنا بَعدَما هَجَدوا هِندُ ... وَقَد سِرنَ خَمساً وَاِتلَأَبَّ بِنا نَجدُ**

**أَلا حَبَّذا هِندٌ وَأَرضٌ بِها هِندُ ... وَهِندٌ أَتى مِن دونِها النَأيُ وَالبُعدُ**

**وَهِندٌ أَتى مِن دونِها ذو غَوارِبٍ ... يُقَمَّصُ بِالبوصِيِّ مُعرَورِفٌ وَرِدُ**

**وَإِنَّ الَّتي نَكَبَّتُها عَن مَعاشِرٍ ... عَلَيَّ غِضابٍ أَن صَدَدتُ كَما صَدّوا**

**أَتَت آلُ شَمّاسِ بنِ لَأيٍ وَإِنَّما ... أَتاهُم بِها الأَحلامُ وَالحَسَبُ العِدُّ**

**فَإِنَّ الشَقِيَّ مَن تُعادي صُدورُهُم ... وَذو الجَدِّ مَن لانوا إِلَيهِ وَمَن وَدّوا**

**يَسوسونَ أَحلاماً بَعيداً أَناتُها ... وَإِن غَضِبوا جاءَ الحَفيظَةُ وَالجِدُّ**

**أولَئِكَ قَومٌ إِن بَنَوا أَحسَنوا البُنى ... وَإِن عاهَدوا أَوفَوا وَإِن عَقَدوا شَدّوا**

**وَإِن كانَتِ النُعمى عَلَيهِم جَزَوا بِها ... وَإِن أَنعَموا لا كَدَّروها وَلا كَدّوا**

**فَمَن مُبلِغٌ أَبناءَ سَعدٍ فَقَد سَعى ... إِلى السورَةِ العُليا لَهُم حازِمٌ جَلِدُ**

وَتَعـــذُلُني أَبنـــاءُ سَـــعدٍ عَلَـــيهِمُ وَما قُلـتُ إِلّـا بِالَّـذي عَلِمَـت سَـعدُ[1]

بالنظر إلى الأبيات نجدها تعبر عن مكنونات الشاعر النفسية والداخلية عن الحطيئة التي ارثاها من خلال أبياته التي أرتقى بها عمن سواها، لذا فنجده قد بدأ بالغزل مثله كمثل باقي شعراء عصره ثم تدرج في أبياته إلى أن وصل بالمتلقي إلى هدفه الذي بثه من خلال كلماته في الأبيات، ومن ثم نجد أن الشاعر يمدح زمنه ويتدرج إلى أن يصل إلى مدح بني سعد وها هو هدفه الأساسي من الأبيات، وبالنظر إلى الأبيات نجد أن الحطيئة قد ربط من المقدمة وهي ذكر الحبيبة والغزل فيها، وهولاً إلى لوعته وحنينه إليها، وتدرج منها إلى ذكر الحبيبة ومدى وفاءه لها، وأيضًا لكل من يأخذ بيده ويعمل على إعانته لتحمل عاديات الدهر، ومن هنا عدد الحطيئة صفاته التي رفعت من قدره وتحل مكانته وتوضح للمتلقي شخصيته التي تتناسب مع قبيلة بني سعد لما بينهم من تشابك في صفات ابنائها، وما لديهم من مبادئ وإن حكموا اعدلوا، وهذا هو الهدف الرئيسي للشاعر وهو أن يوضح مدى علو مكانته ببني سعد من القبائل وامتداح بني سعد من حيث صفاتهم ومبادئهم ومأثرهم ووفائهم وعلو مكانتهم وغيرها من الصفات التي تعظم القبيلة وتمجدها.

وأيضًا نجد أن الشاعر الحطيئة ربط من كلماته ليسرسم لوحة فنية تبرز الملامح العامة لكيان القبيلة، وذلك لمدح "آل شماس بن لأي" بالمميزات التي على شاكلته ومبادئه التي تشبه مبادئهم وصفاته التي تشبه صفاتهم.

ومن خلال الأبيات السابقة تبرز العديد من الحجج ومنها الحجج المؤسسة على بنية الواقع من خلال الحجة السببية التي تربط الأحداث وترتبها إلى الوصول بالنتيجة والتي من خلالها حاول الحطيئة إقناع المتلقي "بآل شماس بن لأي" وإثبات مصدقيته عن طريق ذكر الحساب وترتيب الأحداث حتى يجعل المتلقي يقر بمصدقية الشاعر ويصدق عليه.

فهنا الحطيئة يعلي من "آل شماس بن لأي"، ويوضح مدى اشتراكهم معه في الصفات، مما يؤكد صحة انتسابه لهم، لما تحل به من صفات اشترك معهم بها كالوفاء، الذي اتضح من خلال تأثره بمحبوبته وأثر فراقها عليه، مما يؤكد مدى وفاءه، ولم يكن

(١) ديوان الحطيئة جرول من أوس– إعداد: محمد عبد الرحيم، ط٥، ص٧٤: ٧٦.

قاصرًا عليها بل شمل كل من وقف بجانبه وسانده، وفي ذلك تشابها مع "آل شماس بن لأي".

ومن هنا نجد أن الشاعر الحطيئة جاء بالعديد من الحجج والأدلة والبراهين لإقناع المتلقي بصحة نسبه فمثلهم مثله، وكلاً منهم يؤكد الآخر، ومن هنا نجد أن الشاعر امتدح بني سعد بالعديد من الكلمات التي بها الكثير من الحجج واستخدام العديم من الأساليب لإقناعالمتلقي بهدفه وإقناعه بكلماته التي تناسجت حتى انتجت الجمل والحجج التي برهنت على صدق نتيجته.

وأيضًا لقد امتدح الحطيئة عروة بن غيث وذلك في قوله:

**لَم تَرَ عَيني مِثلَ عُروَةَ خُلَّةً وَمَولىً إِذا ما النَعلُ زَلَّ قِبالُها**

**وَأَنتَ اِمرُؤٌ نَجَّيتَني مِن عَظيمَةٍ مَخوفٍ رَداها أَو شَديدٍ وَبالُها**

**وَمَجدٍ لِأَقوامٍ شَآهُم طَلَبتَهُ بِنَفسٍ كَريمٍ صَونُها وَابتِذالُها**

**وَأَحلى مِنَ التَمرِ الجَنِيِّ وَعِندَهُ بَسالَةُ نَفسٍ إِن أُريدَ بَسالُها**

**وَأَقوَلُ مِن قُسٍّ وَأَمضى إِذا مَضى مِنَ السَيفِ إِذ مَسَّ النُفوسَ نَكالُها**

**وَأُدمٍ كَأَرآمِ الظِباءِ وَهَبتَها مَراسيلَ مَشدودٍ عَلَيها رِحالُها**[1]

في الأبيات السابقة نجد أن الحطيئة يمدح عروة، ويثني عليه بما به من مميزات، لذلك امتداحه الشاعر بالكثير من الصفات كالشجاعة، والبسالة، والمروءة، والمهدي، والمرشد وغيرها من الصفات التي تميز الشخصية، وتعلو بها وتعلى منها لما تحب أن تطرب بها الأذان، ويقنع بها العقل، لذا أتى الشاعر بالكثير من الحجج التي تبرهن على عظمة عروة وقوته وشجاعته، ومن ثم مجد الخطيئة شخصية عروة ودعمها بما بها من مميزات، ومن هنا امتدحه الحطيئة ليقنع المتلقي بصدق قوله وأحقيته، ويجعل من حججة استدلال منطقي يؤكد مدحه ويدعمه ليؤكد على عظمة عروة وصدق صداقته.

(١) المرجع السابق- زمنة- ص١٤٢: ١٤٣.

وبالتطرق إلى العديد من دواوين الشعراء المخضرمين وجدنا أيضًا المدح في أشعار الخنساء التي اشتهرت بالرثاء والبكاء والنحيب على أخاها صخر، فكما كانت ترثى به، كانت تمتدح فيه بما فيه من صفات تميزه عن غيره من أمثاله، وقد اتضح ذلك في الأبيات التالية:

**جارى أَبـاهُ فَأَقبَلا وَهُما يَتَعاوَرانِ مُلاءَةَ الفَخرِ**

**حَتّى إِذا نَزَتِ القُلوبُ وَقَد لَزَّت هُناكَ العُذرَ بِالعُذرِ**

**وَعَلا هُتافُ النـاسِ أَيَّهُما قالَ المُجيبُ هُناكَ لا أَدري**

**بَرزَت صَحيفَةُ وَجهِهِ والِدِهِ وَمَضى عَلى غُلوائِهِ يَجري**

**أَولى فَأَولى أَن يُساوِيَهُ لَولا جَلالُ السِنِّ وَالكِبرِ**

**وَهُما كَأَنَّهُما وَقَد بَرَزا صَقرانِ قَد حَطّا عَلى وَكرِ**[1]

ونجد في الأبيات التي سبق ذكرها ذكرت الخنساء محاسن أخاها وأثنت عليه، ومن هنا كانت أبياتها ما هي إلا عبارة عن امتداح أخاها من حيث صفاته وأخلاقه، ومن ثم وضعته في مرتبة عالية بين قومه، فجعلت منه مثالاً يحتذا به، ومن هنا نجد أن أبياتها جاءت لخدمة أغراضها وأهدافها، فمن خلال الاستهلالية المدحية لأخاها الذي جعل أباه يتقدم عليه كي ينصره ليتفوق عليه مراعاة لشعور الأبوة واعترافًا منه بحق الأباء على الأبناء كإقرار بمبدأ متفق عليه، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أخلاق وصفات أخاها العالية وحسن معاملته وبره بالوالدين وقوة مواقفه وراجاحة عقله ومكارم أخلاقه.

ومن هنا نجد أن الخنساء استخدمت الصور الحجاجية المدحية لإبراز صفات الممدوح وتمجيد أخلاقه ومبادئه السامية، وذلك لإقناع المتلقي بما تريد الخنساء إيصاله تحقيقًا لأهدافها وتأكيد على صدقها وإقرارٍ من الجميع بأراها الراجحة ووجهة نظرها في البعض.

وبالنظر إلى الأبيات السابقة نجد أن الخنساء قد استخدمت حجج التتابع وهي الحجج السببية التي تعتمد على تتابع الأحداث وتدرجها لتكون مقنعة للمتلقي ولها

(١) الخنساء– حمدوطماس– ط٢– ص٦٥.

مصداقيتها لترتبها على الأحداث الواقعية وعناصرها، ومن ثم نجد أن الأبيات عبارة عن سلم حجاجي يربط كل حجة فيها بالأخرة ويأكدها فيترتب الحجة على ما يسبقها لتؤكد الحجة التي تلحقها فتصدق النتيجة بترابط الحجج وتناسقها وتدرجها من المقدمة وصولاً بالنتيجة بما يتوسطها من موضوع تتعدد به الحجج لتربط المقدمة بالنتيجة فتؤكد على المقدمة وتصدق على صدق النتيجة.

ومما سبق ذكره نجد أن الخنساء عندما وصفت السباق ما من أباها وأخاها بدأت من المقدمة وهي وجود علو صوت الناس ثم كبر الولد وأصبح فارسًا ثم تدرجت إلى أنهما يتسابقان ثم وصفت أحداث السباق إلى أن وصلت إلى فوز الأب على الابن، ومن هنا أرادت الخنساء أن ترسخ العادات العربية القديمة لذلك فاز الأب على ابنه برغم قوة ابنه وشبابه وقوته وفروسيته وصغر سنه فما يؤكد على آداب الابن وجمال صفاته وأخلاقه وأحقيته بالمدح وجعله مثالاً يحتذا به مثالاً يضرب في جمال الأخلاق من الأبناء للآباء وحسن معاملاتهم كما يجب أن يعاملوا.

وأيضًا لقد وجدنا المدح في أبيات النابغة يتغنى به في أشعاره عن أفاضل البشر وهم الصحابة وقد ظهر ذلك حينما قال:

**حَكَيتَ لَنا الصدّيقَ لَمّا وَلِيتَنا وَعُثمانَ وَالفارُوقَ فارتاحَ مُعدِمُ**

**وَسَوَّيتَ بينَ النَّاسِ في الحَقِّ فَاستَوَوا فَعادَ صَباحاً حالِكُ الليلِ مُظلِمُ**

**أَتَاكَ أَبُو لَيلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجى الليلِ جَوّابُ الفَلاةِ عَثَمثَمُ**

**لِتَجبُرَ مِنهُ جَانباً ذَعذَعَت بِهِ صُرُوفُ اللَيالي وَالزَمانُ المُصَمِّمُ**[1]

تحيلنا الأبيات السابقة إلى جمل عديدة وكلمات متعددة تهدف إلى امتداح ابن الزبير، وذلك لاستغاثة الشاعر به لينقذ قومه من مجاعة أحلت بهم، واستجابته لإغاثته مع الفوز، لذا مدحه الشاعر واستدلالاً بقوله أن الزبير أخذ من الفاروق وعثمان مثالاً احتذا به وصار على نهجهم، فأخذ منهم.

لذا وصفه الشاعر بالعديد من الصفات التي أعلت من شأنه ومكانته ومكانة من يتحلى بها كالعدل الذي استخدمه ابن الزبير كمبدأ في معاملته مع الناس وحسن إصدار حكمته عليهم، ولم يقف الشاعر "النابغة الجعدي" على ذكر الحجج التي امتداح بها ابن

(١) النابغة الجعدي وشعره- د/ إبراهيم عوض- ص٢١.

الزبير، ولكن قد دعم ذلك بصفاته التي جعلت الشاعر يؤكد مدحه عن طريق الحجج التي تؤسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة وذلك لأنها حالات فريدة من نوعها ووصفها، يتم تعميمها كمثالاً يحتذا به من باب التميز والصلاح والهداية للبشرية للسير على تهجهم، ومن ثم جعل شاعرنا النابغة من ابن الزبير مثالاً يحتذا به كعثمان والفاروق الذي سار على نهجهم واتبع خطاهم فصار على شاكلتهم.

ومن هنا كان الشاعر النابغة أحقيقة مدح ابن الزبير بما مدحه به لسمو أخلاقه، ورفاعة مبادئه وقوتها، وصحة حكمه وعدالته في رعيته، ومن هنا يتبين لنا كيف انطلق الشاعر في مدحه لابن الزبير عبر الحجج المنطقية من خلال الاستدلال والاستنباط كمقدمة للوصول بالتحليل إلى النتيجة المنطقية لامتداحه، وإقناع المتلقي بأهدافه من خلال الحجج الموافقة لأفكار الشاعر ومناسبته لميول المتلقي.

وبذلك نجد أن الشاعر سار على الشكل التالي في ترتيب أحداثه لكي يصل إلى نتيجته.

بدءًا من (المقدمة) ←تدرج إلى ←الموضوع وصولاً إلى ←النتيجة.

وبالنهاية عن طريق التطرق إلى أشعار المخضرمين وجدنا أن المدح قد احتل جزء أكبر من أشعار المخضرمين سوءًا في الجاهلية أو في الإسلام، ففي الجاهلية كانت أشعارهم تمدح الفروسية والقوة والشجاعة والخمر والراقصات والشاربات وقوة البدن والجمال والنسب والحسب والقبيلة والمعارك والشعراء وغيرها من الأشياء التي كانوا يفخارون بها على غيرهم.

أما في الإسلام فنجد أن المدح اختلف كليًا عما سبق فكانت الشعراء المخضرمين يغيرون من طريقة مدحهم وأسبابه، فنجد أن الشعراء المخضرمين يمدحون الدين الجديد والأخلاق الحميدة والوفاء والإخلاص والتدين وحسن معاملة الآخر ومدح النبي والنبوة، والصحابة وأخلاقهم والعدل والحكمة وجميع الصفات التي كان يحث عليها الإسلام، والدين الجديد الذي دخلوا فيه، ومن ثم نجد أن أشعارهم في الإسلام جاءت على غير عادات الجاهلية، لذا قاموا الشعراء المخضرمين بمحي أي عادة قديمة في المدح تعترض الدين الجديد وصاروا كما أشار عليهم الدين الجديد، فانحصر مدحهم على الجهاد في سبيل الله والمحاربين ومدح كل ما أت به الدين الجديد.

**الخاتمة:**

تناولت هذه الدراسة التشكلات الحجاجية والمدحية في شعر الشعراء المخضرمين وهم من فحول الشعراء في ذاك الوقت ، هذا الشعر تناج شعراء عظماء وهو نتاج شعري كبير ، حاولت قدر استطاعتي من خلاله استجلاء التقنيات والصورة الحجاجية والمدحية في شعرهم الذى جاء انعكاسا حقيقيا لعصرم ولحياتهم ومرئاة عاكسة ايضا لحياة الشعراء وما ينسب اليهم وايضاح لجميع جوانب الحياة في ذاك الوقت .

ومن خلال الاغراض الشعرية المتعددة والمختلفة توصلت الي بعض النتائج التالية

١- لقد تعددت الحجج باختلاف أنواعها وأشكالها لإضافة قوة حجاجية تخدم أغراض الشاعر لتحقق أهدافه وإقناع المتلقي والتأثير عليه .

٢- لقد ابرز الشاعر مدحه من خلال تقنيات الحجاج للتصديق علي صحة مدحه ومنبوحه وأحقيته في ذلك من خلال الحجج .

**المصادر والمراجع التي رجعت اليها :-**

١- الصحاح تاج اللغة – أبو بكر الفراوي– ط – ج العمدة في الطبع – المغرب.
٢- لسان العرب لابن منظور – ط ٣ ، ج – دار صادر – بيروت – ١٤١٤ هـ.
٣- جواهر الأدب – احمد الهاشمي – ط – ٥ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩٦م.
٤- معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي تحقيق عبد المنعم محمد هارون – ج – ٥ دار الفكر ١٣٩٩ – ١٩٧٩م.
٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية في أيوب بن موسي الحسيني القريمي اللوري– أبو البقاء الحذفي– تحقيق عدنان د / درويش محمد المصري – مؤسسة الرسالة بيروت.
٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – احمد بن محمد بن عاصم الفيومي ثم الحموي – ج – المكتبة العلمية – بيروت .
٧- التشكلات الحجاجية في شعر الراعي النميري – إعداد عبدالعزيز مطلق نصار الشريعان إشراف :أ. د / عصام خلف كامل أ . د / حسن إسماعيل عبدالغني – رسالة دكتورة جامعة المنيا – ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩م.
٨- المديح – سامح الدهان – ط ٥ – دار المعارف القاهرة.
٩- التعريفات م الجرجاني – د – ت – طباعة حجرية.